



﴿إن في ذلك آيات للمؤمنين﴾

لواء م . عبدالرحمن بن أبكر ياسين

إن الإرهاب حتى في أوج زخمه وزخات موجاته ليس له هذه المعاني، لأنه عمل تحت السمع والبصر، وفي دائرة السيطرة وإمكانات الهيمنة عليه، متوفرة ضمن أكثر من أسلوب ووسيلة، وهو ليس بالعمل الجبار الذي لا يقوى على جبروته أحد، ولا هو من الصلابة والصلابة التي يستحيل اختراقها، والتعامل معها.. لكن مع الأسف واقع الحال ومؤشرات الحوادث الإرهابية وتفاقمها وتزايد ضحاياها وتنوعات عملياتها التي أبرزها إزهاق أرواح وإصابات وضياع أموال وممتلكات والعبث بالمكتسبات الحضارية، وهدر معنويات العيش للإنسان وخلق جو من الروع والخوف وزعزعة استقرار الأمن في أوطانهم، وهدم البنية الأساسية للأمة، فهل أضحي الحل مستعصياً والأمل فيه مفقوداً؟ كلا. فلم يكن الإرهاب بهذه الصورة استحتمت حلقاته وانغلفت فجواته متى وقف الناس مشدوهين عاجزين أمامه. إن مفاتيح مغاليقه ميسرة، لكن لا زالت غير مهياة للإمساك بها، والحل يكمن في الربط بين حلقات الحلول التي ما فتئت ضالّة، والاتفاق حولها يشكل صعوبة بين أمم الأرض ومن خلالها يسود الإرهاب ويلعب في ساحة الملعب الدولي بشراسة في ظل ضعف الفريق المقابل الذي لم يتفوق بعد على آلية الربط بين أفكارها وتوحد أساليبها ووسائلها ليقدّم صيغة موحدة متعاونة متضامنة، لماهية الإرهاب، والخروج من دائرة ما تشجبه جماعة تؤيده أخرى. وما يعتبر إرهاب عند فئة لا يعتبر كذلك عن آخرين، ومنهم من يراه عملاً بطولياً يستحق الإشادة بفعل أنانية المصالح في ظل غيمة تاهت فيها المعاني الصحيحة للإرهاب.

فمتى يصحو الفكر الإنسان من غفوة المنافع الأحادية التي يترعرع في غضوناتها الإرهاب والخروج بها إلى عموم المصالح الجماعية لأمم الأرض ولو بحد أدنى وليس أدل على ذلك من أن العالم لم يتوصل إلى تعريف محدد لظاهرة الإرهاب وتشخيصه تشخيصاً دقيقاً. وبمنظرة واعية لماهية الإرهاب نجد أنه حالة غير طبيعية في حياة البشر، وطالما أنه أمر غير طبيعي فهو إذاً ليس من الصعوبة بمكان وهو بهذا لا يملك مقومات البقاء إذا وضعناه تحت مجهر البحث والحوار الجاد البعيد عن الشعور بالضعف والإحساس بالعجز. ولما يكون الإرهاب ضرباً من ضروب القوة الخارقة والمعجزة في هذا العصر بالذات، في حين أنه ليس من خصائص هذا العصر فحسب فقد عرفت العصور السابقة الإرهاب وتعاملت معه تلك الشعوب بقدر من الحزم والمعالجة بوسائل عصرها وأساليب فكرها ووفق ظروفها فلكل عصر ظروفه وأوضاعه وآلياته وسماته تنحصر أدواته ولا يتعدى عصره بينما وقفت شعوب عصرنا الحاضر عاجزة ومكتوفة الأيدي أمام مواجهته. ■

أستعير الآية الكريمة من سورة الحجرات لعنوان مقالتي هذا لما فيها من عظة ودعوة للتأمل لما هو كائن وما سيكون من أمر الإرهاب وأعمال العنف وما يسببه من قتل عشوائى لبني البشر، في عصر الحضارة والتقدم التقني والعولمة والمعلوماتية. ففي العصور الغابرة استطاع المجرم أن يتمثل أنواعاً محددة من الأهداف التي تصيب عليها إجرامه وعملياته الإرهابية، أما في عصرنا الحديث عصر الانبهار العلمي والازدهار الاقتصادي والتقدم الصناعي فقد اختلفت فيه الأهداف التي يؤمها الإرهاب ويصوب إليها سهامه وباختلاف الأهداف اختلفت أدوات الإرهاب تبعاً لها، وتعددت وسائله وتنوعت بحسب ظروف البيئات التي يمارس فيها.. فعمليات الإرهابيين في الماضي كانت تقتصر على أعمال محددة لا تخرج عن نطاق الموضوع المختلف عليه ولا تتجاوزها إلى الغير أو معاش وأقوات الآخرين.

أما اليوم فقد تعدى الإرهاب وتطاول ليشمل نواحي حيوية وهامة، يضرب في عمق المصالح وبعين عمياء لا تفرق بين بريء وضعيف وعاجز واعزل ومحايّد. يضرب في كل اتجاه إلى الخصوم وإن لم يتمكن من مواجهتهم فإنه يوجه ضرباته إلى التجمعات البشرية والرموز الاقتصادية، يتساوى لديه الأجنبي والعاير والسائح والمقيم يزرع الروع ويفرض الخوف ويقضي على المكتسبات الحضارية والبنى الأساسية التي استغرق بناؤها الكثير من الجهد والمال والوقت.. وفي سويغات يطولها الإرهاب فتهوي محطة مكسرة مهشمة، كان لم تكن قبل دقائق معدودة، وهكذا تتهاوى صروح الأمم ومقومات الشعوب، يصيبها العوز وتتعطل المصالح وتنشل حركة الحياة.

قل أن يمر أسبوع دون وقوع حالة إرهابية، ويموج عالمنا اليوم بهذا النوع من الجريمة المعاصرة، حتى أصبح على كل لسان، يضرب في كل مكان واتجاه، وكأنه قوة لا تستطيع الصمود أمامها كل أشكال مكافحة الجريمة، ولا يمكن أن ينظرها أباطرة الفكر والمشتغلين بالسياسة ومعالجة عقائدها. وأضحى الإرهاب كأنه يملك عصى سحرية يقوض بها أعتى الحصون الأمانة في رابعة النهار، وعلى أعين الملا يخترق أشد الحراسات البشرية، والتقنية حتى فرض نفسه على الساحات الأمنية متحدياً أو مؤكداً وجوده رغم المحاذير الاحترازية ضده.

إن الإرهاب ليس له شيء من ذلك وليس في نطاق معانيه، لسبب بسيط هو أن ممارسي الإرهاب بشر لا يملكون خوارق القوة، وليست لديهم لمسات سحرية يجوسون بها ديار الأبرياء دون أن يكون في الجعبة مقابل من رذع أو مانع يحد من عنفوانه ويواعثه ويجدر أسبابه ليجد الحلول الناجعة التي تقف أمامه.

